التصوف الإسلامي : المفهوم والنشأة

« دراسة تحليلية »

بقلم

د/ عبد الرحمن تركي

أستاذ بمعهد الآداب واللغات. المركز الجامعي بالوادي .

ملخص :

نرى في هذا المقال مسار التصوف الذي نشأ كعلم منذ القرن الثاني الهجري، والذي كان في البدء حياة زهدية قائمة على التأمل وإحياء الروح ومحاسبة الذات والبعد عن الخلق، والذي (أي التصوف) تمثل في شخصيات وطوائف انتهجته واشتغلت به كطريق متميز بين الطوائف الأخرى كالفقهاء واللغويين والمؤرخين والفلاسفة، وبهذا صار منهجا دينيا واتجاها نفسيا له دوافعه وأبعاده وملامحه، ثم ظهر نظام الطريقة كتطور طبيعي لحاجات الناس وظروفهم الاجتماعية والثقافية، وللمكانة السامية التي كان عليها مشايخ التصوف وأئمته ولوظيفتهم التربوية والتعليمية انتشرت حلقات العلم والذكر في المساجد والزوايا .

The summary:

This article focuses on one of the most Important religious trends in Islam: it is Souffism which has started during the second century of the Hidjra.

This trend was firstly based on the principle of simple living, soul revive, auto-judgment and life in isolation.

Souffism has became an independent religious and psychological movement thanks to the efforts of the individuals and factions who had adopted it. For that reason the (Tarika system) emerged as a natural development for people needs as well as their social and cultural conditions.

The most Important position enjoyed by the spiritual leaders of this trend has helped spread its religious preaching and scholar teachings either in mosques or in Zaouia

مقدمة :

جذب التصوف إليه كعلم وسلوك ومنهج اهتمام العلماء والفلاسفة والباحثين فكتبوا عن نشأته واشتقاقه ومقاماته وأحواله، كما كتبوا عن سير الزهاد والمتصوفة ونقلوا أقوالهم وآثارهم العلمية والعملية .

وممن كتب في التصوف قديما الحارث بن أسد المحاسبي (ت 243 هـ) وكتابُه (الرعاية لحقوق الله)، وأبو نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي (ت 378 هـ) وكتابه (اللمع في التصوف)، وأبو بكر محمد بن إبراهيم الملقب بالكلاباذي (ت 380 هـ) وكتابُه (التعرف لمذهب أهل التصوف)، وأبو طالب محمد بن علي المكي (ت 386 هـ) وكتابه (قوت القلوب)، وأبو القاسم عبد الكريم القشيري (ت 465 هـ) وكتابُه (الرسالة القشيرية) [1] ، وأبو حامد الغزالي (ت 505 هـ) وكتاباه (المنقذ من الضلال) و(إحياء علوم الدين)، وأبو العباس أحمد زروق الفاسي (ت 899 هـ) وكتابُه (قواعد التصوف)، كما أفرد عبد الرحمن بن خلدون (ت 808 هـ) فصلا في مقدمته لتعريف التصوف ونشأته وأعلامه .

واقتداء بمن سبق من أهل العلم كتب مفكرون وباحثون معاصرون عن التصوف، منهم عباس محمود العقاد الذي أفرد فصلا للتصوف في كتابه (التفكير فريضة إسلامية)، وعبد الحليم محمود الذي كتب عن أعلام التصوف وآثارهم، ومحمد علي أبو ريان الذي تحدث عن التصوف عند ابن سينا وعند الغزالي في كتابه (تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام)، كما تحدث عن التصوف عند شهاب الدين (يحي بن حبشي) السهروردي في كتابه (أصول الفلسفة الإشراقية) .

ومن هؤلاء الباحثين يوسف زيدان الذي اهتم بالكتابة في التصوف لاسيما من الجانب الأدبي، ومن مؤلفاته (شعراء الصوفية المجهولون) و(عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصوفية) و(ديوان عبد القادر الجيلاني) و(الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر) .

وجذب التصوف إليه اهتمام المستشرقين فتعددت دراساتهم وأبحاثهم حوله، وأثارت دهشتهم وولعهم الشخصيات المشتهرة في مجاله مثل رابعة

العدوية والحسن البصري وأبو القاسم الجنيد بن محمد وأبو حامد الغزالي ومحي الدين بن عربي (ت 638 هـ) والحسين بن منصور الحلاج (ت 309 هـ) وشهاب الدين السهروردي (ت 580 هـ) .

ونذكر من هؤلاء المستشرقين : من المستشرقين الفرنسيين لويس ماسينيون في دراسته عن الحلاج[2]، وجان شوفلييه في دراسته عن التصوف والمتصوفة لاسيما في المغرب العربي[3]، وروجيه إرنالديز في كتابه (رسل ثلاثة لإله واحد)[4]، ومن الانجليز جب هاملتون في كتابه (دراسات في حضارة الإسلام)[5]، ورينولد نيكلسون في كتابه (تراث الإسلام)[6]، وسبنسر ترمنجهام في كتابه (الفرق الصوفية في الإسلام)[7]، ومن الإسبان آسين بلاسيوس في دراسته لشخصيتي ابن عربي وأبي حامد الغزالي[8].

وبعد نظر في كتاباتهم وقراءة متمعنة نجدهم تساءلوا هل أن التصوف هو البقعة المشتركة التي تلتقي عندها الديانات الثلاثة (الإسلام واليهودية والمسيحية) ؟، وبحثوا عن العلائق والصلات النظرية والعملية التي تربط بين التصوف الإسلامي والمسيحي ؟، كما تساءلوا هل أن أصول التصوف في الدين الإسلامي أجنبية، من الرهبانية السريانية[9] أو من الأفلاطونية المحدثة[10] أو من الزرادشتية الفارسية[11] أو الفيدانتا الهندية[12]، أم أن أصوله نشأت من التعمق في تأمل القرآن واستخراج ما يدعو إلى الزهد والخلوة والانقطاع عن الخلق ؟ .

ونحن هنا نتناول تعريف التصوف ونشأته وتطوره عبر مراحل الزمن مبينين نوع المفاهيم والأفكار التي حملها وأهم عناصرها .

. تعريف التصوف :

التصوف كلمة حادثة في الحضارة العربية الإسلامية، طرأت قبل المائتين من الهجرة، إذ لم يتسم بها المسلمون في عصر النبي عليه الصلاة والسلام أو بعده مع أنهم متصفون بكل ما تحمله هذه الكلمة من فضائل وأخلاق وما تتضمنه من صفاء وإخلاص وتطهر، وكان السبب في ظهورها (أي كلمة التصوف) أنه لما تغير الوضع الديني والاجتماعي، وحدثت عادات وأعراف وحصل التنافس بين الفرق والطوائف فكل فرقة تدّعي أن فيها زهادا، انفرد زهاد عامة المسلمين

وخواصهم باسم التصوف، يقول ابن خلدون : " هذا العلم (أي علم التصوف) من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عامّا في الصحابة والسلف، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة ."[13] .

أما ما يتعلق باشتقاق كلمة (التصوف) وتعريفه من الناحية اللغوية فقد اختلف الباحثون وكثرت الأقوال، ويمكن إجمالها فيما يلي :

1- التصوف من الصوف، يقال تصوف إذا لبس الصوف كما يقال تقمص إذا لبس القميص، والصوف غالب لباس المتصوفة لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب[14]، وهذا ما يذهب إليه ابن خلدون[15][16] .

2- التصوف من الصوف، لأن المتصوف كالصوفة المطروحة لا تدبير لها، أو هو من صوفة القفا للينها، فالصوف هين لين كهي[17] .

3- من الصِّفة أو الصفا وضده الكدورة، إذ جملته (أي التصوف) اتصاف بالمحامد وترك الأوصاف المذمومة، واشتقاق التصوف من الصفا بعيد في مقتضى اللغة[18] .

4- أو هو منقول من الصُّفة[19]، لأن صاحبه تابع لأهلها فيما أثبت الله لهم من الوصف، وهذا الاشتقاق أيضا بعيد في مقتضى اللغة، وكذلك النسبة إلى الصف، وإن كان المعنى أن المتصوفة في الصف الأول بقلوبهم[20] .

5- التصوف في أمم الغرب المسيحية يشتق من الخفاء أو السر، ويطلقون عليه اسم (مستسزم) Mysticism أي السرية أو المعاني الخفية، فخاصته المميزة له عندهم هي البحث في البواطن والتعمق في الأسرار المغيبة وراء الظهور[21] .

6- ليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق، والأظهر فيه أنه كاللقب [22] .

ومن حيث الاصطلاح فالتصوف علم أخلاق وسلوك ومعاملة، يسميه البعض (علم الأخلاق)، والبعض (مقام الإحسان)[23]، ومبناه على الزهد والعبادة، وهدفه تصفية النفس من الرعونات والرذائل وتنقية الأفئدة من الأدواء والأمراض الباطنية، والسير بالنفس من مقام إلى مقام أعلى والتدرج بها والانتقال من حال إلى حال أفضل إلى رتبة السمو والرقي والكمال .

والتصوف كذلك علم أخروي من حيث أنه يحاول إخراج العبادات والمعاملات من حدود الفقه الجامدة وإعطائها مفهومات جديدة ترتكز على الباطن (الوجدان) دون إغفال للظاهر في الدين ليرتقي الإنسان إلى درجة القرب من الله تعالى والفوز بمعيته والتمتع بالنظر إليه في جنة الخلد في الآخرة فعُرف بعلم الباطن، وهو كذلك علم عملي أخلاقي من حيث إنه يرتبط بالمجاهدة والأحوال والمقامات، وتربية نفس الإنسان من حيث الذوق والوجدان والقلب والروح ومنها إلى سائر الأعضاء والجوارح لذلك عدّه بعض الباحثين (علم النفس الإسلامي)[24] .

وقد أورد القشيري والكلاباذي تعاريف عديدة للتصوف، منها[25] :

1- التصوف الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق دني .
2- هو أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام.
3- هو استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريده .
4- هو الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق .
5- هو ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع .
6- هو أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة .
7- هو الانقطاع عن الخلق والاتصال بالحق .
8- هو حفظ الأوقات، وهو أن لا يطالع العبد غير حدّه، ولا يوافق غير ربّه، ولا يقارن غير وقته .

وأهم ما يلاحظ على تعاريف التصوف أنها[26] :

أولا . إن اختلفت ألفاظها ومبانيها فإن معانيها متقاربة .

ثانيا . إن ما ذكر فيها من أوامر ونواهي ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : أعمال قلبية باطنية كالإخلاص والحب والخوف والرجاء والخشوع والزهد وإيثار ما عند الله، وإنكار الكبر والعُجب والرياء والغفلة والغرور .

القسم الثاني : أعمال ظاهرية كالذكر والصلاة والزكاة والصوم والحج، وهذه الأعمال تبنى على أساس الأعمال القلبية، وهي من آثارها .

. نشأة التصوف وتطوره :

تزامن نشوء التصوف في الإسلام كعبادة وخلق وسلوك بظهور الإسلام نفسه، ذلك أن الرعيل الأول من المسلمين رجالا ونساء اتسموا بالتقوى والخشوع والإنابة إلى الله والخوف من عقابه والرجاء والطمع في ثوابه ورضوانه، والتضحية بالمال والنفس في سبيله، واتسموا بطلب الآخرة والسعي لها والزهد فيما في أيدي الناس وإماتة شهوات الجسد، كما اتسموا بالخُلق الفاضل كالصدق والوفاء بالعهد وأداء الأمانة .

لكن لم يؤثر عن الجيل الأول في الملة الإسلامية أنهم تسموا بالصوفية أو المتصوفة، وإنما عرف هذا المصطلح بعد ذلك، وصار علَمًا على العلم الذي يرسم الطريق الباطني الموصل إلى المعرفة والكشف وإزالة الحجب عن الحقائق والأسرار والتوسل بالمعرفة إلى القرب من الذات الإلهية، قال القشيري : " لم يتسمّ أفاضلهم (أي المسلمين) بعد رسول الله ﷺ في عصرهم بتسمية علم سوى محبة رسول الله ﷺ إذ لا فضيلة فوقها فقيل لهم الصحابة، ولما أدركهم أهل العصر الثاني سمى من صحب الصحابة التابعين، ورأى في ذلك أشرف سمة، ثم قيل لمن بعدهم أتباع التابعين، ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين الزهاد والعباد، ثم ظهرت البدع وحصل التداعي بين الفرق فكل فريق ادعوا أن فيهم زهادا، فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفاسهم مع الله تعالى الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة . "[27] .

إذن ظهر التصوف كسلوك ثم تحول إلى علم ومعرفة، وصار له أعلام كالحارث بن أسد المحاسبي البغدادي الذي كان من الزهاد المتكلمين على

العبادة والزهد في الدنيا والمواعظ، وكان فقيها متكلما مقدما، كتب الحديث وعرف مذاهب النساك، وهو بصري الأصل، مات ببغداد سنة 243 هـ، وله من الكتب : كتاب التفكر والاعتبار، وله كتب كثيرة في الزهد وأصول الديانة، والرد على المعتزلة[28]، ومثل أبي القاسم الجنيد بن محمد الذي ولد ونشأ بالعراق، وكان رئيسا من رؤساء المتصوفة وورعا زاهدا، مات سنة 297 هـ[29]، والفضيل بن عياض الذي جاور الحرم المكي حتى مات سنة 187 هـ[30] .

وشهد التصوف بعد هؤلاء تطورا على يد أبي حامد الغزالي الذي انقلب من مدرسة المتكلمين إلى المدرسة الصوفية، والذي تميز بتفكير نقدي[31]، وكان كتابه (إحياء علوم الدين) - الذي تأثر به متصوفة المغرب العربي وفقهاؤه وأُولعوا به[32] . محاولة لتأسيس أحكام الفقه وصياغتها صياغة صوفية روحانية بالبحث عن أسرار العبادات ومقاصدها وآداب العادات وحقوق الإنسان من حيث الدين والجوار والرحم، والتمييز بين الفضائل والرذائل[33] .

تلا الغزالي اعتماد الكثير من الفقهاء أبرزهم عبد القادر الجيلاني (ت 561 هـ) للصوفية كطريقة للتربية والتعليم والهداية، ويبدو أن الجيلاني وتلاميذه الذين نشروا طريقته في بقاع المشرق والمغرب العربيين بواسطة رحلات الحج عادوا بالتصوف إلى جذوره الأولى بالتركيز على تعليم القرآن والحديث مقتدين بأشخاص مثل الحسن البصري والحارث المحاسبي والجنيد بن محمد' ومما دعوا إليه توازي التصوف والشريعة، فكل حقيقة لا تشهد بصحتها الشريعة فهي زندقة، وتوازي الطهارتين الباطنة والظاهرة[34] .

ويُعدّ انتشار حلقات العلم والذكر حول علماء ومفسرين وفقهاء النواة الأولى لنشأة الطرق الصوفية فيما بعد، والتي انتشرت في كثير من الأقطار العربية والإسلامية، وضربت جذورها في الميادين الاجتماعية والسياسية والثقافية، والتي أعطت العناية للاستجابة لتطلعات المجتمعات والشعوب في النواحي الدينية والتعليمية لاسيما عند ضعف الدول وانحطاطها .

وفي أثناء مسيره امتزج التصوف لدى بعض أقطابه مثل الحسين بن منصور الحلاج وشهاب الدين السهروردي بالأفكار الغنوصية[35] مثل الاتحاد والحلول ووحدة الوجود، وقد استخدم هؤلاء التحليلات الميتافيزيقية عند

كبار الفلاسفة وخاصة ابن سينا الذي تأثر بالأفلاطونية المحدثة وبعناصر فارسية فتكلموا في الأنبياء ورسالتهم وفي علاقة المخلوقات بخالقها وحلول الإله في نفس الصوفي أو الوحدة بين (الأنا الإنساني) و(الأنا الإلهي)[36]، كما تكلموا في الإشراق وفي وحدة الوجود، وقد صاغوا خلاصة آرائهم نثرا أو في قصائد مطولة يعتبر بعضها من أجمل ما في الأدب العربي[37] .

كما امتزج التصوف أثناء مرحلة الانحطاط والجمود التي سادت العالم الإسلامي، امتزج بأفكار تقديس الأشخاص والبحث الحثيث عن الكرامات وخوارق العادات والقصص الغريبة، والتمسح بالأضرحة والاعتقاد القوي بنفعها وضرها، مما أدى إلى ضمور طلب العلم من مظانه وغياب الأخذ بالأسباب .

وبسبب هذه الأفكار التي امتزجت بالتصوف خلص بعض المستشرقين إلى أن التصوف بكامله في نشأته وتطوره تأثر بعوامل أجنبية عن الدين الإسلامي كالنصرانية أو الزرادشتية أو الثقافة اليونانية القديمة، ومن هؤلاء المستشرقين آدم متز الذي يقول في كتابه (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري) : " وتدل أقدم الكتب الصوفية التي وصلت إلينا، وهي مصنفات الحارث بن أسد المحاسبي المتوفي سنة 243 هـ/858م دلالة واضحة على أنه تأثر بالنصرانية تأثرا، فإنه قد بدأ أحد كتبه بمَثل الباذر المذكور عن المسيح عليه السلام[38]" [39]، والمستشرق اجنتس جولد تسيهر الذي يقول في كتابه (العقيدة والشريعة في الإسلام) : " وقد حاكى هؤلاء الزهاد المسلمون وعبّادُهم نُساك النصارى ورهبانَهم .." [40]، ويقول كذلك : " ومما هو جدير بالذكر أن فقرات الأناجيل التي يكثر الاستشهاد بها في الحِكم التي تحث على الزهد والتي تتحدث عن طير السماء التي لا تبذر ولا تحصد ولا تكدس ولكن يغذيها خالقها، هذه الفقرات توجد بنصها تقريبا في لب هذه المبادئ الخاصة بالتوكل .."[41] .

ومن هؤلاء المستشرقين المستشرق دي بور (ت . ج) الذي يقول في كتابه (تاريخ الفلسفة في الإسلام) : " هذه النزعة التي كانت موجودة منذ عهد الإسلام الأول، قويت بتأثير عوامل ترجع إلى النصرانية وإلى مؤثرات فارسية . هندية، ونمت وعظم أمرها بتأثير تقدم المدنية والنفور من الانغماس في الدنيا، فنشأت عن ذلك مجموعة ظواهر دينية يطلق عليها عادة اسم التصوف "[42] .

وبناء على هذه الرؤية اعتقد بعضهم أن التصوف في الحضارة العربية الإسلامية يماثل التصوف في الحضارات والملل الأخرى، أو بعبارة أخرى أن التصوف هو المنطقة المشتركة التي تلتقي عندها كل الديانات لاسيما اليهودية والمسيحية والإسلام، وأن المتصوفة المسلمين يقتربون كثيرا من رهبان النصارى مهما كانت التعارضات العقائدية والتشريعية بينهم، وذلك من حيث الاشتراك في صفات العزلة والاختلاء ونبذ ملذات الحياة وأخلاق المحبة والخوف والرجاء [43] .

خاتمة :

اتضح في هذا المقال تعدد تعاريف التصوف واشتقاقاته، وهي وإن تعددت تؤكد على الاهتمام بالجانب الباطني من المعرفة، وعلى التركيز على أسرار العبادات وآثارها القلبية والروحية وثمارها الأخلاقية، كما اتضحت نشأة علم التصوف كغيره من علوم الإسلام الحادثة في القرن الثاني الهجري، ثم تطوره وتنوع تياراته واتجاهاته .

واتضح كذلك مدى الحاجة إلى تحقيق ما هو من مذاهب الصوفية وما هو ضمن مقاماتهم وأحوالهم وضمن مصطلحاتهم ومفاهيمهم، وتمييز ما كان دخيلا عليهم من تصورات وعقائد وعادات ليست من التصوف في شيء .

وبرغم اهتمام المفكرين والكُتّاب والأدباء بالتصوف إذ نجد في مؤلفاتهم خُطبا وأشعارا وقصصا وحكايات متعددة عن أخلاق أئمة التصوف ومآثرهم، برغم هذا مازال التراث الصوفي يحتاج إلى بحوث ودراسات، لذا فإني أوصي بتوجيه البحث العلمي إلى إحياء هذا التراث وتحقيقه ونشره وبيان قيمته وأهميته، وشرح مدى فاعليته الاجتماعية بالمقارنة مع جوانب الثقافة الأخرى .

. الهوامش :

1 ـ كتب القشيري عبد الكريم بن هوازن رسالته المشهورة سنة 437 هـ إلى جماعة الصوفية ببلدان الإسلام، وذلك أنه لما رأى انقراض أكثر شيوخ الصوفية المحققين وفساد حال كثير من الباقين ألّف رسالته، وذكر فيها سيرا من سير شيوخ هذه الطريقة في آدابهم وأخلاقهم ومعاملاتهم وعقائدهم لتكون قوة للصوفية وعونا على صلاح أمرهم . (آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج2، ص483) .

2 ـ نجيب العقيقي : المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، ج1، ص 263، وعبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الثالثة 1993م، ص 529، 530.

3 ـ جان شوفليي : التصوف والمتصوفة ، ترجمة عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق، بيروت، طبعة 1999م .

4 ـ روجيه ارنلديز : رسل ثلاثة لإله واحد، ترجمة وديع مبارك، منشورات عويدات، بيروت ـ باريس، الطبعة الأولى، 1988م .

5 ـ جب هاملتون : دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة إحسان عباس ومحمد يوسف نجم ومحمود زايد، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، 1979م .

6 ـ رينولد نيكلسون : تراث الإسلام، تعريب جرجيس فتح الله، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1978م .

7 ـ بعد اطلاعي على هذا الكتاب لاحظت أخطاء مطبعية كثيرة وعسرا في فهم كثير من الفقرات لرداءة الترجمة ـ سبنسر ترمنجهام : الفرق الصوفية في الإسلام، ترجمة عبد القادر البحراوي، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1997م .

8 - العقيقي : المرجع السابق، ج2، ص 194 .

9 ـ السريانية نسبة إلى النصارى السريان الذين تولوا ترجمة كتب اليونان إلى العربية خاصة في العهدين الأموي والعباسي . (دي بور : تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار النهضة العربية، بيروت، ط5، 1981م، ص 19) .

10 ـ الأفلاطونية المحدثة : مدرسة فلسفية يونانية اندمجت فيها عناصر شتى من المذاهب الدينية والفلسفية بما في ذلك السحر والتنجيم والعرافة، من أهم رجالها : أفلوطين (ت 270م) الذي يرى أنه على قمة الوجود يوجد (الواحد) ـ أي الله ـ وهو الخير بالذات الذي تصدر عنه الموجودات صدورا ضروريا عن طريق الفيض أو الإشعاع النوراني، ولذلك سميت هذه المدرسة بمدرسة الفيض وسميت الأقانيم الصادرة . (محمد علي أبوريان : تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، ص 68، 69، 70) .

11 ـ الزرادشتية : أتباع زرادشت الذي ظهر بفارس في القرن السادس قبل الميلاد، من مبادئهم القول بإلهين اثنين للخير والشر والنور والظلمة . (الشهرستاني : الملل والنحل، تحقيق أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الخامسة، 1996م، ج1، ص 281، 282) .

12 ـ الفيدا كتاب الهندوس المقدس، يتضمن أناشيد دينية وعبارات يتلوها الرهبان عند تقديم القرابين، ومقالات في السحر والرقى والتوهمات الخرافية، والفيدانتا فلسفة الهند الأخلاقية تضمنت مبادئ صوفية كمبدإ وحدة الوجود . (أحمد شلبي : أديان الهند الكبرى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط10، 1997، ص 45، 46، 72) .

13 ـ ابن خلدون : المقدمة ، دار القلم، بيروت، الطبعة السابعة 1989م، ص 467 .

14 ـ يرفض القشيري هذا الاشتقاق، ويقول بأن القوم لم يختصوا بلبس الصوف . (أبو القاسم القشيري : الرسالة القشيرية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، ص 312) .

15 ـ ابن خلدون : المقدمة، ص 467 .

16 ـ هذا المنحى في تعريف التصوف الذي يتبناه ابن خلدون يذهب إليه المستشرق سبنسر ترمنجهام حيث يقول : " أطلق مصطلح صوفي أولا على الزهاد المسلمين الذين ارتدوا الملابس الصوفية الخشنة ومنها جاءت كلمة تصوف ..." (سبنسر ترمنجهام : الفرق الصوفية في الإسلام، ص 21) .

17 ـ أبو العباس الغاسي : قواعد التصوف، تحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م، ص 24 .

18 ـ القشيري : الرسالة القشيرية، ص 312، وأبو العباس الفاسي : قواعد التصوف، ص 24، وابن خلدون : المقدمة، ص 467 .

19 ـ أهل الصفة : قوم اعتكفوا في عهد النبي عليه الصلاة والسلام بالمسجد، واشتغلوا بالعبادة والعلم، ليس لهم أهل ولا مال، وإذا جاءت رسول الله هدية بعث إليهم منها، وإذا جاءته الصدقة أرسل بها إليهم ولم يصب منها . (جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي : صفة الصفوة، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1996م، ج1، ص 333) .

20 ـ القشيري : الرسالة القشيرية، ص 312، وأبو العباس الفاسي : قواعد التصوف، ص 24، وابن خلدون : المقدمة، ص 467 .

21 ـ العقاد : التفكير فريضة إسلامية، ص 107 .

22 ـ القشيري : الرسالة القشيرية، ص 312 .

23 ـ ورد مقام الإحسان في حديث جبريل عليه السلام، وفيه : " قال (أي جبريل) يارسول الله ما الإحسان ؟ قال : أن تخشى الله كأنك تراه فإنك إن لا تكن تراه فإنه يراك، قال صدقت . " رواه مسلم في صحيحه من كتاب الإيمان باب الإسلام ما هو وبيان خصاله، (الجامع الصحيح، دار الفكر، بيروت، ج1، ص 31) .

24 ـ صالح نعمان : أصالة التصوف الإسلامي وأهميته في الحياة المعاصرة، مجلة معهد أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، السنة الأولى، العدد الأول، ديسمبر 1998م، ص 121، 122 .

25 ـ القشيري : الرسالة القشيرية، ص 312، 313، 314، والكلاباذي : التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق محمود النواوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط2، 1980م، ص 109 .

26 ـ صالح نعمان : المرجع السابق، ص 124، 125 .

27 ـ القشيري : الرسالة القشيرية، ص 21 .

28 ـ القشيري : الرسالة القشيرية، ص 32، وابن النديم : الفهرست، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1997م، ص 230 .

29 ـ أبو القاسم القشيري : المصدر السابق، ص 50، وابن النديم : المصدر السابق، ص 229 .

30 ـ أبو القاسم القشيري : المصدر السابق، ص 25 .

31 ـ انتقد الغزالي الفلاسفة في كتابه (تهافت الفلاسفة)، كما انتقد المتكلمين والفلاسفة والباطنية أصحاب التعاليم والإمام المعصوم في كتابه (المنقذ من الضلال) .

32 ـ الطاهر بونابي : التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 الهجريين / 12 و 13 الميلاديين، دار الهدى، عين مليلة، ط 2004، ص 63 .

33 ـ ينظر : أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين، دار القلم، بيروت، ط3، ج1 (الفهرس، ص 321، 322، 323)، ج2 (الفهرس، ص 357، 358، 359)، ج3 (الفهرس، ص 389، 390، 391) .

34 ـ ممدوح الزوبي : الطرق الصوفية، ظروف النشأة وطبيعة الدور، الأهالي للتوزيع، دمشق، ط1، 2004م، ص 112، 113 .

35 ـ الغنوصية : مبدؤها العرفان وهو ليس العلم بواسطة المعاني المجردة والاستدلال كما هو الحال في المعرفة الفلسفية المنطقية، بل هو المعرفة الحدسية الحاصلة من اتحاد المعارف بموضوع المعرفة، أما غاية هذه المعرفة فهي الوصول إلى عرفان الله بكل ما في النفس من قوة حدس وعاطفة وخيال، وتعد بكشف الأسرار الإلهية وتحقيق النجاة، وقد تفاعلت مع الوثنية واليهودية والمسيحية في العصر العباسي . (محمد علي أبوريان : تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، ص 79) .

36 ـ يؤمن المتصوفة القائلون بالاتحاد والحلول أن المحبة حركة شوق إلى اتحاد لتتعدى الاتحاد إلى وحدة المحب بالمحبوب فيفنى من بدوا وكأنهما طرفان متقابلان ليبقى الواحد في حقيقة، كما يؤمنون أن ذات الله تعالى يمكن أن تمتزج بذات البشر بحيث يصبح الفرد البشري إلها وينادي أنا الحق . (ممدوح الزوبي : المرجع السابق، ص 68، 69) .

37 ـ جورج شحاته قنواتي : الفصل الثامن (الفلسفة وعلم الكلام والتصوف)، ضمن كتاب (تراث الإسلام)، تصنيف جوزيف شاخت وكليفورد بوزورث، ترجمة حسين مؤنس وإحسان العمد، عالم المعرفة، الكويت، ط3، 1998، ج2، ص 74، 75 .

38 ـ ويؤيده مترجم الكتاب محمد عبد الهادي أبو ريدة فيقول : " وينقل المحاسبي في كتابه (الرعاية لحقوق الله) عن بعض الحكماء تمثيل الهادي بالباذر، وكلامه بالبذر، والناس بأرض صالحة مثمرة، أو أرض ذات شوك يخنق الزرع، أو صخر أملس لا يمكن الزرع من النماء، وتدل المقارنة بين كلام المحاسبي وبين مثل الباذر في إنجيل لوقا مثلا (الفصل السابع والعشرين) على أن المحاسبي ينقل عن السيد المسيح عليه السلام ". (محمد عبد الهادي أبو ريدة : هامش كتاب الحضارة الإسلامية لآدم متز، ج2، ص 467)، ولكن بمراجعة كتب الحديث النبوي نجد أن المثل يشبه إلى حد كبير نص حديث شريف يرويه مسلم في صحيحه من كتاب الفضائل باب بيان مثل ما بعث النبي ﷺ به من الهدى والعلم، (الجامع الصحيح، دار الفكر، بيروت، ج7، ص 63) .

39 ـ آدم متز : المرجع السابق، ص 466 .

40 ـ أجناس جولد تسيهر : العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة محمد يوسف موسى وعبد العزيز عبد الحق وعلي حسن عبد القادر، دار الرائد العربي، بيروت، ص 136 .

41 ـ أجناس جولد تسيهر : المرجع نفسه، ص 135، 136 .

42 ـ دي بور : تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار النهضة العربية، بيروت، ط5، 1981م، ص 125، 126 .

43 ـ وحول هذا الاقتراب خاصة في مجال المحبة والإيمان القلبي يقول المستشرق روجيه ارنلديز : " فالقلب إذا هو المحور الذي تتجه نحوه الرسائل الثلاث (اليهودية والمسيحية والإسلام) مهما كانت تعارضاتها العقائدية " ، ويقول " لكن يتفق لكل منهم (اليهودي والمسيحي والمسلم) وهو يعيش قيمه الخاصة أن يتمكن من الانفتاح على قيم الاثنين الآخرين فينبثق تشارك أكيد ويتألق على مستوى الاختبار الديني، اختبار يكون القلب وحده قادرا عليه " (روجيه ارنلديز : رسل ثلاثة لإله واحد، ص 61، 62) .